

علاء أبو الحجاج - قمر الثامن عشر



نصوص نثرية

خواطر

قمر الثامن عشر

علاء أبو الحجاج

الاسم: علاء أبو الحجاج

اسم الكتاب: قمر الثامن عشر

سنة النشر: ٢٠٢٣

"جميع حقوق الكتاب محفوظة للكاتب"

المقدمة

لقد رويت لك قصتين عما جرى لي في الحياة،

وتركت الثالثة لتكتبها أيد أخرى يوماً ما، وستكتب كل

التفاصيل الناقصة بها

كانت الأولى، قبل أن التقى بك

والثانية حين التقيتك

أما الثالثة؛

سوف يكتبها طفلي

حين يقرأ كلماتي بعد الرحيل

حروف اسمها

حروف اسمها تملأ قلبي نورا كالعادة

وتأخذ بقلبي من نار الجحيم

الروح لها تهوى

وتمدح أجمل إشادة

أعلنها بحجم السماء

والنجوم السديم

أنني أحببتها فوق المحبين حبا وزيادة

أدونها في عهدي

وترجو الخلود لعهد قديم لها

الروح ارتضت بكل إرادة

وبحسنها يتزين الصميم

بنظرة مملوءة بالفرح

وضعت في أجمل قلادة

بجمالها تتربع وتقيم.

لمس يديها أشبه بوسادة

تغفو عليها روعي

فيطيب فوقها الجرح الأليم

حروف اسمها

تتزاحم فوق روعي بسعادة

وبدونها القلب لطيم

فقانون الحب لا دستور له

والقلب للقلب يهيم.

فلا يكفيني غزلا بها

فالغزل لجمالها شهادة.

والقرب منها جنات النعيم

هذا المساء.

هنا في ذاك المكان

عندما تدق ساعة منتصف الليل

وعندما يحين الوقت.

سأجلب رسائلك الاخيرة

وأعيد كل مشاهدتها وحدي

في صفّ الحنين

وعندما تأتي لحظة رحيلك

في المشهد الأخير!

سأشعل أكبر شمعة لأجلك

وأدع خيطها يحترق.

سأفعل ذلك كل ليلة

حتى يأتي الصباح

وتنطفئ معه تلك الشمعة

التي أدركت أنها احتضنت

خيطاً أهلكها.

لقد استغرقت وقتاً

حتى أيقنت أنني فقدت كل شيء
إلا ذكراك أما عن الليال المقبلة!
أعدك بأن ذكراك ستشرق كل ليلة
كالنجم السديم فوق حياتي المعتمة
والآن ما زلت في هدنة
أنتظر المساء حتى يحين الوقت
وتدق ساعة منتصف الليل مجددًا..

الثالث عشر من آذار

عندما يهطل المطر فوق مدينتنا

نُسرع لنغطي جدراننا الهشة

حتى لا ترشقها قطعات الثلج

وتنقض فوق أرواحنا.

نجلس خلف زجاج غرفتنا

نترقب قطرات المطر

وهي تتناثر فوقه بهدوء ورقة

وكأنها تهمس لنا من خلف الزجاج

غداً سوف تنتهي الخيبات.

ننظر بشغف.. نتأمل

وننتظر أن يأتي الغد

وتأتي معه الشمس

حتى يذوب الثلج

ونتابع طريقنا فوقها بأمان

وحين جاءت شمس السلام.

ذاب كل شيء وأصبح ذكرى.

كنت أتمنى أن لا تذهب هذه اللحظات

لكني عايشة هذا الإحساس

لسنوات طويلة

كان يغمرنى ويغرقني بما فيه الكفاية

لربما تكون الخيبات قد انتهت

لكن السلام لم يبدأ بعد.

حتى جاء يوم هطلت فيه الأمطار

وامتلأت فيه الأنهار

وكان السماء استجابت لصلوات.

ودعوات المصلين.

كان الثالث عشر من آذار / مارس.

لحظات لم تستمر كثيراً

لقد كانت اللحظة فيها تحمل حياة

تحمل كل سيناريو يمكن تخيله

عاشته في هذا اليوم إنه نهاية شتاء.

اذكريني

أجلس وحيداً على رصيف الانتظار

أبحثُ عن شيءٍ كان يسكن جسدي

لا أعلم أين هو!

رحلت ذاكرتي في تلك الليلة الباردة

وكأني لم أتذكر شيئاً منذ عشرين عاماً..

أصبحت محاصر بين ظلام الشتاء

وشمس منتصف الليل.

دائمًا ما أحب أن أكون وحيدًا

تناجيني الوحدة حين أكون مكتئبًا

أود الرحيل عن كل شيء مؤلم.

أشتهي سفرًا بعيدًا

عن الريف والمدن

فوق الجبال العالية

أعيش وحدي أو في الأربيل

كل هذا ومازلت أجلس

فوق رصيف الانتظار

قطارًا يأتي... وآخر يمضي

وبين كل ذلك أرافق وحدتي

تتصاعد أمامي أدخنة سيجارتي

ومعها شهيق أنفاسي

فصرت أشعل سيجارةً تلو الأخرى

حتى جاءت الأخيرة.

لم أستمتع بها.. لأنها كانت آخر ما في علبتي

حينها بدأت بالتساؤل؟

ماذا إن كانت معي الآن؟

حتى استجاب القدر لي

وراتيها تقف على بعد خطوات.

نظرتُ لها بطرف عيني.

وجدت جوارها حقيبة سفر

رأيتها تتوجه بالنظر إليّ

بملامح الشفقة والغربة

لكنها لم تقل لي كلمة واحدة

وعندما أمعنت النظر إليها

تملكني إحساس، بدى غريبا

لم أتمكن من تفسيره.

هي مازالت متواجدة.. هناك

تلفتت يمينًا ويسارًا.

فلماذا لم تأتِ لتسألن أو تحدثني.

حتى رأيتهما ترتجف من البرد

لقد كانت يديها قد لسعها البرد

فتحتم عليّ أن أقدم لها المساعدة.

وعندما اقتربت منها

شعرت أنني أفضل مما كنت فيه

بنبرة خافتة قلت لها:

يمكنك أخذ معطفي ليبقيك دافئة

أومأت برأسها وقالت: شكرا لك.

حتى توقف قطار

انشقت أبوابه.. فلم يخرج منه أحد.

لكنني كنت تحت وقع الصدمة

حين رأيته تتسلل من الباب المنشق

لتدخل عربة القطار وعندما جلست بمقعدها

أخرجت يديها من النافذة

ومعها معطفي ثم قالت: إلى اللقاء.

تسارعت نبضات قلبي

واهتزت أغصانه.

حتى تساقطت روحي بين وجداني

تلبسني الضجر عند سماع صافرت القطار

كأنه يقول الوداع.

وقبل أن يبدأ القطار بالسير

كسرت الصمت فقلت لها وأنا منشق، اذكريني.

رحل القطار

وذهبت معه لحظات جميلة

لكنها مملوءة بالحزن.

لأعود بعدها

مرتديا الحزن ليكسو قلبي.

رحلت ولم تترك شيئاً

سوى رائحة عطر شرقي داخل معطفي

هذا كل شيء.

صغيرا

كصغير أصبحت الصورة المفضلة لديه

والتي لم يجدها منذ أن أتى للحياة

هي التي فيها رجل بعمر الثلاثين

أو ما يقارب ذلك

يركض خلف طفلا صغيرا فاغر العينين

يلهو مع قطته الشقراء

وبين يديه ورق القصدير الملفوف

فوق قطعة حلوى.. هذه الصورة

التي يخاطبها كل يوم

وبإطالة مضجرة، يتمناها أن تكون

وهو يجلس في إحدى الزوايا بغرفته

يشفق على نفسه في دوائر الحزن

بعد أن أخبرته والدته

أن والده قد فارق الحياة يوم مولده.

أصبح محاطا بتنبيهات فقدان

يهزول هرباً داخل غرفته
كلما قرع الخوف جدار روحه.
أعتقد أن أسوأ أنواع الخوف
ليس الوقوف على حافة الهاوية.
إنما الخوف هو أن تفقد عزيزاً لقلبك
وأن تفقد بعدها ذاتك
مع ذلك تزامت السنوات حوله
حتى قفز إلى العقد الثالث
فأصبح عقله لم يتعرف

على ما يمكن أن تراه عيناه.

لقد تجاوز مراحل الطفولة

لكن قلبه ما زال صغيرا

ضعيفا يخاف من ظله.

أراد أن يتغلب على مخاوفه

التي تعلمها من مدرسة الحياة

وكلما حاول أن يفكر في ذلك عاد له عقله!

ويعود به إلى ندوة كان قد حضرها مع أمه

وهو صغيرا، شاهد فيها الدموع

تسيل على وجنتيها وتقول

اشتقت لك كثيرا

كانت حياته حينها مخزية

ليست هي تلك التي كان يحلم بها

ثلاثون عاما

وهو متخوف من إدخال الناس حياته

يعيش حالة من الخوف

كالخوف الذي فيه الآن

حتى أصبح رفيقا للحزن.

هو غير مقتنع بأن هذا سينتهي يوماً

بعد أن عبث في عقله الخوف

وكلما تعمق، ازدادت داخله

دلالات الفصل

بين الخوف والرحيل

يبدو أنه يوجد الكثير في عقله

مما يحبطه.

لكن أكانت تلك هي

الحياة التي يرغب بها؟

أم أنه يعيش واقعة المجهول

ذهبت الروح

ذهبت الروح وجلس القلب لطيفا

يعزف على كمان الهجر

يعزف أوتارا تبكي القدر

وينزف منها الحزن.

رحل النصف وترك الآخر مهجورا

وحيدا، بائسا كما كان.

شعوري هذا ليس عاديا.

عمره أعوام ظل يتشعب داخلي

ظن الجميع أنني سعيدا

لكني مملوءا بذكريات

أشبه بأيدي أخطبوط

تشبثت بمفترق أنفاسي

ورغم ذلك قررت أن ألوذ بصمتي

وافر هاربا مع وحدتي

ربما لأبحث عن طريقا

يقودني لنفسي القديمة

أو أني أبحث عن شيء ينهي حزني

يكسر صمتي ، ويقتل وحدتي

لذا أريد الرحيل.

وأنا أدرك أن كل الأشياء تتأمر ضدي

ولا أعلم إلى أين سيأخذني القدر

لكني أريد أن أذهب بعيدا

فنفسي القديمة متشوقة لذلك الرحيل

سرتُ حائراً على حافة الأشواك

وأنا لا أبصر طريقي

ولست أدري إلى أين تقودني قدمي

سأبقى سائرا أبحث عن نهاية

لذلك الظلام الذي أفقدني كل شيء

أفقدني حتى بصري

ولأنني لا أعرف إلى أين تقودني خطواتي

إلا أنني ملتزما بمواصلة طريقي وحدي

□ أما الذين قد تركوني في منتصف الطريق

فهم دائما ما يجدون سبيلهم في الرحيل

سأمضي وأخطو بالحراك

وسأقول لهم ما كنت سأفعله!

نعم سأحاول تتبع خطواتي

وحين أصل لنهاية طريقي

سأخبرهم عن كل شيء

كان يؤلمني

آنذاك

كنت على يقين آنذاك

أن تلك الابتسامة سترحل معها يوماً ما.

لكن!

في تلك اللحظة التي رحلت فيها

غمرت نفسي بالصبر

وأخبرت قلبي أن ذلك كان أمراً شائعاً تفعله الحياة.

فقد أدركت أسوأ مخاوفي

وكان علي أن أتقبل الحقيقة

لكني لم أقوى.

أيقنت حينها أن كل الأشياء مؤقتة

كاذبة

حتى رأيت كل شيء يسقط أمامي

لم تستطع قدماي أن تحملني

من الضربات الموجعة التي انهكتني

واستوحشتني برعونتها، وضجيجها.

فما كان عليّ إلا أن أهرب خلف ستائر الليل

كي لا أرى شمس النهار الباهتة.
كنت أظن أن الهروب من النهار
يجعلني في مأمن من معارك الحياة
ولم أدرك أن الليل مملوء بالذكريات
ملئني الندم في هذه اللحظة
وأصابتني موجة من الحزن
وأنا هارب من ضجيج الرأس
لصراع الجسد أين ذهبت؟
هل ستعود مجددا
وتعيد لي الحياة مرة أخرى

أم سيكون الهروب رفيقي

حتى الممات.

كنت أتساءل!

هل عندما تغادر الروح عن الجسد

يعلم الجسد أنها

ستعود له يوماً في نهاية الزمان

لكن ماذا عنها؟

ربما قد تأتي نهايتي

ولم أراها مجدداً ما زلت انتظر

فقد بلغت عتبة الأربعين

وأنا فوق رصيف الانتظار

هاربا مع وحدتي

وأثناء ذلك رأينا بعضنا من بعيد

يبدو أننا هاربين

ترجلت نحوها مسرعا

لتعانقني بشدة، فعادت لي الحياة

حينها نظرت في عينيها

فقلت لها

إذا كان عناقك سيعيد لي الحياة

فلماذا لم تعودني؟

كان بإمكانها أن تجيب

لكنها تركت على وجهها ملامح جميلة

علمت حينها أنني لم أهون . . .

أيقظني الحنين

أيقظني الحنين في منتصف الليل

وطرق بابي دون استئذان

استغرقت وقتاً طويلاً لاسترداد ذاكرتي

يبدو أن كل شيء حلمت به في نومي

ذهب بين ستار الظلام.

لقد سلب مني النوم، وأراد أن نتحدث في شجن

وكأني جليسه منذ عشرين عام.

فما كان عليّ إلا أن أنهض

بعد أن استسلم عقلي للحنين.

كنت متعباً ومستاءً

من تلك الذي تراودني في حلمي

كل ليلة وتقتلني آلاف المرات

حتى أصبحت على مشارف الأربعين

وما زالت تأتيني.

لم أتمكن من تفسير هذا الضجيج

الذي سلب مني كل شيء

وجعلني أفقد شغفي في الحياة

لهذا نهضت من فراشي

وتوجهت نحو مكتبتي

ربما أجد طريقة أستطيع بها إقناع عقلي

كي أعيش حياة أخرى وأنا خالي الوفاض.

لا شيء بيدي سوى أن أضغط على قلبي

أسأله، أرجوك.. اجبني!

لماذا يأتيني الحنين كل ليلة

ويقتلني آلاف المرات؟ .

لكني لم أر منه إلا بقعة ضخمة

سالت من معطسه ، وكأنه يستغيث

حدقت فيه بحزن ! لقد انتهى حبره .

وسال على أوراقي

لم أشعر به ولم أميز حبره بين أصابعي

لكن الآن انتهى الأمر .

كانت تلك جريمة قتل

راح ضحيتها قلبي .

غادر بعدها الحنين

وجعلني بائس يائس

قادني لنهاية مختلفة

كان فيها المشهد قاتما

لكني توقعت الأسوأ. ولم أعرف ذلك

إلا بعد أن رحل بعيدا وتركني بمفردي

شروق الشمس

تشرق الشمس ، وتبدأ معارك الحياة.

أقاتل حتى الغروب ثم أسقط بعدها

نائماً فوق فراشي حتى تشرق شمس الغد

أستيقظ مجدداً لأعود مرةً أخرى لتلك المعارك

التي تستدعيني كل يوم وتُمزقني

كل دقيقة ، ربما لأن تلك المعارك

تذهب فقط للأصدق ، أو الأضعف.

وتستمر الحياة

أن تجعلني رهينة لحروبها

التي تدشنها على قلبي كل يوم

لكني لم أضعف.. فأنا أفضل أن تُمزقني الحياة

على أن أعيش مكسورًا، أو مذلولًا بها.

إلا أنني في ظل هذه الظروف أتحمل

و أواصل الانتظار والصبر

قد لا تدرك الحياة ما أريده

لكنها تعلم

أني لا يمكنني أن أعيش

بنصف قلب، ونصف عقل

داخل جسداً منك..

رغم ذلك؛ كل معركة أخسرها في الحياة

لم أتعلم منها سوى الخذلان

أحارب ولم أنتصر، ومازلت أنتظر

هدنة تحمل معها رسالة سلام

يهدأ بها الجسد من صراعات الحياة

كل ما عليهم هو الجلد

على ظهر ميت

فلو كان بها قلب

لما كانت بهذه القسوة

فمنذُ أن أتيت

وأنا أواجه عقبات جمّة.

القت بجسدي بلا موعد

أمام نزاعات حياتية

تحتاج إلى قرار حاسم

لفض النزاع بين القلب والعقل

لكن؛ يغدو القرار صعباً

حينما يثقل العقل بالهواجس

بينما القلب

ينال كل الأشياء الجميلة

التي تستبد بها تيارات الحياة

تحت مظلة التفكير السلبي

المصحوب بالقلق

ويبقى السؤال هاجساً ملحاً.

هل يفوز القلبُ على الرأس؟

هنا تقيد إجابتي وتبث التردد في قلبي

لتتغلب العاطفة من سلطة الفكر

وخيوطه المتشعبة داخل الرأس

فتكون إجابتي

شافية مملوءة بالقناعة

لكنها تحتاج إلى تدخل سريع

لأجد نفسي أمام خياراً

كلاهما أشبه بالموت

إِما أنْ أُهْرَبْ منْ اِحْتِلالِ العَقْلِ ومِعاِناتِهِ

وأُرْكضُ عَلى مِتنِ سَفينَةِ الهِروِبِ!

أو أنْ أُغْتالَ عَقلِي وأُغْرِبَلَ هِواجِسَ فِكرِهِ

وأُكونُ قَدْ تَغَلَبْتُ عَلى مِعرَكَةِ منْ مِعارِكِ الحِياةِ...

ابتسامة عابرة

تسللت على وجهي ابتسامة في منتصف الليل.

لكنها لم تستمر كثيرًا.

استيقظت مذعورًا وأحضرت المصباح.

ونذهبت أبحث عنها في كل مكان.

هل تلك كانت حقيقة؟

ام مثل كل ليلة، أضغاث أحلام.

ربما قد أتت الكوابيس

التي توقظني في منتصف الليل.

بعينين مفتوحتان على مصرعيها

نظرت في المرأة

فأصابني الفزع

هذا ليس وجهي فحسب.

صرت أمرار أصابعي على وجهي

ثم وضعت يدي فوق قضبان صدري

شعرت أن كل شيء بشأني لم يبدو جيداً.

تحركت بقدمي للخلف

ليسقط المصباح من يدي

وتشتعل غرفتي وذكرياتني.

خرجت في منتصف الليل متخفياً

وأنا لا أحمل معي شيء

كمتشرد ثيابه ممزقة

وملطخة بالرماد.

انتظرت إلى أن تعود مجدداً

لكنها لم تأتي.

لقد طرقتُ أبواباً كثيرة

لأبحث عن تلك الإبتسامة العابرة.

لكن جميع الأبواب التي طرقتها

أوصدت في وجهي.

وأثناء ما كان ذلك

هبّت عاصفة من رياح الحنين

تحمل معها تلك الإبتسامة

التي رأيتها هناك من قبل.

شعرت بنسمة دافئة تتلحفني

فهرعت خلفها مسرعاً

لألحق بها حتى هدأت العاصفة..

وعندما اقتربت منها

توقف عقلي للحظة

ثم تحدثت إليها بنبرة

خافتة وضعيفة

ربما لأنني مفزوعاً

لتخرج مني كلمات متقطعة:

لما لم تستمري طويلاً؟

فقلت:

كنت طرقت الباب الخطأ.. أسفة

وبعد أن غادرت على عجل

تحدثت مع الصبر فقال

إنكما لن تلتقيان مجدداً.

أبي

في غيابك وثب الحزن على جسدي

فمزقني وانتهش مني الكثير

فما كان للحزن إلا أن يفرح

حين رأني مُنتهش.

أصبحت له غذاءً ونماءً

ولم يشفق على جسدي المسكين.

بل استلذ وقوعي

والدموع تتساقط على وجنتي

فليس على قلبي لوم في ذلك ولا تثريب

إنما اللوم على الحزن

الذي ضرب بمخالبه داخل روحي

وما كان للعين إلا أن تسيل

صارت بين شفتي ابتسامة ألم

وداخل عيني نظرة استسلام.

حين رأيت الحزن

يلغ ويلعق في جرحي

فإن الحزن من طبيعته

النهش والتمزيق.

حينها أدركت أن الحزن

هو الذئب الذي يستطيب الفرصة

ليُظهر للحياة ضعفي

ويستطني كالسيل حين يندفق هداراً

من قمم الجبال

تمضي الحياة

تمضي بنا الحياة بسرعة

وما زلنا نبحث عن السعادة

في كتب الأحزان

رأينا صفحات تنطوي وراء بعض

يسكن بين طياتها الخذلان

اكتشفنا مؤخرًا أن السعادة

ما هي إلا لحظات تمر بنا

وأنها ليست عضوًا بالروح

صرنا نبحث عن الراحة

فأيقنا أنها ليست في الحياة

ولم يمتلكها إنسان أشادت لنا الحياة

أننا وُلدنا في شقاء وخلقنا في كبد

نحارب فيها بمفردنا حتى نهلك

هزمننا ومزقنا أديم الجسد

أصبحنا نبحث عن الحب في كل مكان

حتى رأيناه يجلس على حافة بئر مظلم

يدعى الخذلان

سقطنا فيه مثلما سقط يوسف

لن نجد من يشتري خاطرنا

ويرعيننا كعزيز مصر

كن قويًا، أعطي لروحك السلام

وأعلم إن خُذِل القلب ستمدع الروح

كثيرة هي معارك الحياة

تحتاج فوق أعمارنا أعمار

لنتمكن من محاربة عدونا الحقيقي

الذي يرتدي قناع الأحزان

جريمتها

كانت جريمتهُها الوحيدة؛ !

انها كانت تعولني.

بينما كنتُ أُحارب من أجلها

ومن أجل البقاء.

قاتلتُ من أجل شيءٍ أكبر من قدرتي

وأقمتُ حرباً عادلة

لكنني خُضت تلك الحرب بمفردي

توقف عقلي وكل حواسي

اكتشف ذلك حين رأيتها
تصف جيشًا لمحاربتي.
لم يكن في وسعي أن أفعل شيئًا
سوى الانسحاب والخروج
من معركة خاسرة فقدت فيها هويتي
فأوقفت حينها القتال
وسئمت من كل شيء
والآن أدركت اني اسيرًا للذكريات
حتى أصبحت جزءًا من الماضي

سرمدية

رآها سرمدية بجمالها الفاتن

تفوح رائحتها في كل مكان.

تسمرت نظراته نحوها شاردة،

رآها تتزين بأجمل الألوان.

التفتت يميناً ويساراً

وهو يستنشق عطرها

لينظر إليها مبتسماً:

سبحان من جملَ الجمالُ بجمال.

تسللت يده نحوها ليملكها،

لكنه لم يستيقظ

إلا ويده تتساقط منها الدماء.

لقد نظر لها وهي ترقص وتتمايل

ولم ينظر إلى الشوك

الذي يسكن بين الأغصان.

هو لا يعلم أنها لم تُخلق لتكون ذكري

تسكن بين طيات كتاب.

لكنها خُلقت لتكون وردة

تُزين أجمل بستان.

يوما ما

سيأتي عليك يوماً

تفقدُ فيه رغبتك في الحياة

وتنتهي عندك الرغبة بالبقاء

يموتُ فيه شغفك عن كل شيء

وانت مقيد بخيوط الخذلان

التي أجاد صنعها الآخرين

داخل ثنايا روحك

يومًا تجلسُ فيه وحدك

لُتُعيد النظر نحو حساباتك القديمة

وأنت جالس داخل غرفةٍ مظلمة

لم تصاحب في الحياة إلا جدرانها

دون ملل ، ستراقب نافذتها

تنتظر شعاع الأمل أ

ن يتسلل من زجاجها المنشق

ليضيئ حياتك المعتمة

لكنه لم يأتي بعد

ستقتلك الوحدة

فيتشبثُ بك الممل ويتشعب حولك

لتخرج منك صرخات متقطعة

مصحوبة بالألم

تتقدم بعدها نحو ذكرياتك

القديمة لتقرأها

تخطو بقدم وتأخر الأخرى

وكأنك عاجزاً عن الحراك

و حين تصل

لم تقوى أناملك على التقاطها

فتخرج انفاسك اللاهثة من جديد

ستدرك حينها أن الخيبات

تتوالى واحدة إثر أُخرى

بعد صراعك مع الإهمال القاتل

الذي جعل حياتك باهتة.

ستكون حصيلة عملك مثمرةً

لكن؛ !! بالخيبات

ويكون الندم

هو حصاد الاهتمام

الذي زرعه يوماً في أرضٍ بور

لكنها لم تنبت إلا خيبة أمل مشوهة

خرجت من رحم عقيم.

حين رأيتها

حين رأيتها

ركضت نحوها مثل المجنون

لألحق بها قبل صعودها القطار

كي أحمل معها حقائبها قبل الرحيل

ابتسمت الشقراء لي

ومدت يدها لتعرض باب العربة

كانت لحظات متكدسة

تملأها الضوضاء

لكن نظراتها ذاتها

كما رأيتها للمرة الأولى بالأمس

جعلت تلك اللحظات تمر

كأنها خمسون عاماً

ترجلت خارج العربية

رفعت يدي وأنا منشق

نظرت لي بشجاعة وكسرت الصمت

إلي اللقاء...

ضريير

كان ضرييراً، وعندما أتى شعر بها

شعر بنسمة خوف تتلحفه

فخرجت منه صرخةً مصحوبةً بالألم

شعر بالخوف من أنفاسها اللاهثة

التي لا تنقطع عن سمعه

استنشقت تلك الأنفاس حتى تمكنت منه

أعطته الحب ممزوجاً بألوان قوس قزح

ليرتشف منه في كأس مكسورة الحواف

فأصبح يرى

وعندما شاهدها لأول مرة بعينيه

تسارعت نبضات قلبه

ابتسم وأحبها كثيراً

أصبح خليط الحب يسير في عروقه

حتى جاءت لحظة ران بها الصمت

عندما كان فيها مبتسماً

أخبرته أن يتركها ويرحل بعيداً

فقد غطى الشيب شعره الأسود

انحنى ظهره وأصبح عجوز

قبض قلبه عند الرحيل

راح يسير شريط حياته أمامه

أحبها وهو يعلم بنهايته

لكنه صدق كذبتها

صدقها وقرر أن يترك الجميع

تمسك بها فخذلته وتركه الجميع

انها الحياة.. الكذبة التي صدقها البعض

ووقع في حبها الكثير وسيتركها الجميع..

عجوز

عجوز

رسمت الحياة على وجهها تجاعيد الكبر

غطى الأبيض خصلاتها الصفراء

تقف أمام مرآة مكسورة

واحدة منهما

تظهر عينان بنيتان

داخل جفونٍ منكمشة

تسارعت بها الحياة

فأسقطت رموشها

شردت في ذهنها قليلا

تذكرت ما مضي من عمرها

نحو ثلاثون عامًا

حين كانت ملكة جمال إنجلترا

لقد قلت أنك تؤمن بكلماتي!

فماذا تريدني أن أكتب الآن

علاء أبو الحجاج